

تدارك العشر الأخيرة من رمضان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأتقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فتقوى الله سبيل الهدى، والإعراض عنها طريق الهوى.

أيها المسلمون:

يتفضل ربنا على عباده بنفحات الخيرات، ومواسم الطاعات، فيغتنم الصالحون نفائسها، ويتدارك الأوابون أواخرها. ليالٍ مباركةً أوشكت على الرّحيل، ليالي شهر كريم أبواب الجنان فيه مفتحة، وأبواب النار فيه مغلقة، والشياطين فيه مُصَفَّدة، العشر الأخيرة منه تاج الليالي، كان نبينا ﷺ إذا دخلت، أحيا ليله وأيقظ أهله وشدَّ المنزر، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره» (رواه مسلم).

في العشر ليلة هي أمُّ الليالي، كثيرة البركات، عزيزة الساعات، القليل من العمل فيها كثير، والكثير منه مضاعف ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ﴿[القدر: ٣]، خَلَقَ عَظِيمٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ لَشَهْودِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، ليلة سلام وبركات على هذه الأمة، قال ابن كثير - رحمه الله -: «يكثر نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له».

وفي شهر الصَّيَامِ نزل كتاب ربنا العظيم، الثَّوَابُ في تلاوته جزيل، من قرأه فله بكلِّ حرفٍ منه حسنة، وهو شافعٍ لصاحبه، يقال لقارئه يوم القيامة: اقرأ وارق فإنَّ منزلتك في الجَنَّةِ عند آخر آيةٍ كنت ترتلها، فاجعل لتلاوة كتاب الله على لسانك في العشر الباقية طراوة، ولصوتك منه نداوة، لتظفر بشفيعين في الآخرة - القرآن والصيام -، فلقد كان جبريل عليه السلام يُدارس نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في شهر الجود والنفحات. والصَّلَاةُ قرة عيون الصالحين، وراحة أفئدة الخاشعين.

وأفضل الصَّلَاة بعد الفريضة صلاة الليل، حث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه على قيام الليل، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» (متفق عليه)، فما ترك القيام بعد ذلك رضي الله عنه، والعبء مذموم على ترك قيام الليل، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» (متفق عليه). إن قيام الليل من أفضل الأعمال، ومن أسباب دخول الجنان «يا أيها الناس: أفشوا السَّلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والنَّاس نيام، تدخلوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ» (رواه الترمذي).

وليالي رمضان مبشر من قامها بغفران الذنوب، قال عليه الصَّلَاة والسَّلام: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه)، وفي كل ليلة ساعة إجابة، الأبواب فيها تفتح، والكريم فيها يمنح، فسَلِّ فيها ما شئت، فالمعطي عظيم، وأيقن بالإجابة، فالرَّبُّ كريم، وبُتِّ

إليه شكواك، فإنه الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وارفع إليه لأوَّك، فهو السَّمِيعُ البصير، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لِسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» (رواه مسلم)، ونسمات آخر الليل مظنة إجابة الدَّعَوَاتِ، قيل للنبي ﷺ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قال: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدَبْرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ» (رواه الترمذي).

والعبد مفتقر إلى محو أدران خطاياها، والانكسار بين يدي الله والافتقار إليه في هذه العشر المباركات بالاعتكاف في بيتٍ من بيوت الله أخرى بمغفرة دنس الخطايا، وأرجى لقبول العبد عند الله ورضاه عنه، وقد كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، فارغب إلى ربِّك بالاعتكاف، وداوم على ذكر الله فيه، وأكثر من الدُّعَاءِ فِي سَاعَاتِ الْإِجَابَةِ، فتلك لحظات تغتنم، يقول القرطبي - رحمه الله -: «فضيلة الزَّمانِ إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل». وإذا قرب العبد من ربِّه لطف الله به، وساق إليه الإحسان من حيث لا يشعر، وعصمه من الشرِّ من حيث لا يحتسب، ورفعته إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على بال.

أيها المسلم:

المال وديعة في يدك ليس لك منه إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، فتواضع بقلبك للمسكين، وابذل كفَّ الندى له، وادن منه، واحنْ عليه، ولا تحتقر فقيراً، فإنَّ «أكثر أهل الجنة هم الفقراء» (متفق عليه).

وباليسير من النفقة مع الإخلاص تنجو من النَّارِ، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (متفق عليه)، وَقِ نَفْسَكَ شُحَّهَا، وأيقن بالغنى من الكريم، فالْمُنْفَقُ مُخْلَفٌ، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك» (متفق عليه).

ويقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «ما نقصت صدقة من مال» (رواه مسلم)،
والشَّيْطَانُ يوسوس لك ويأمرك بالإمساك ويزينه لك خديعة ومكرًا، قال
تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولا تقهر يتيماً، ولا تنهر سائلاً، وأنفق بسخاوة نفس يبارك لك في
المال والولد.

أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمُ وَأَفْعَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الشَّهر أوشك على الرَّحيل بما أودع فيه العباد من أفعال، واللَّيب من ختم شهره بتوبة صادقة بالبعد عن المعاصي والآثام، والمفلس من أغرق نفسه في السيئات ولقي ربّه وهو على العصيان، والتَّوبة ليست نقصاً، بل هي من أفضل الكمالات ومن أحب الحسنات إلى الله، وهي الأصل الذي تصلح عليه الأمور، فأكثر من الاستغفار في ختام شهرك يكن تاجاً على حسناتك، وماحياً لقيح زلاتك، وتذكّر أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، وإياك والتسوية بالتوبة فإن الموت يأتي بغتة. ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسَّلام على نبيه...